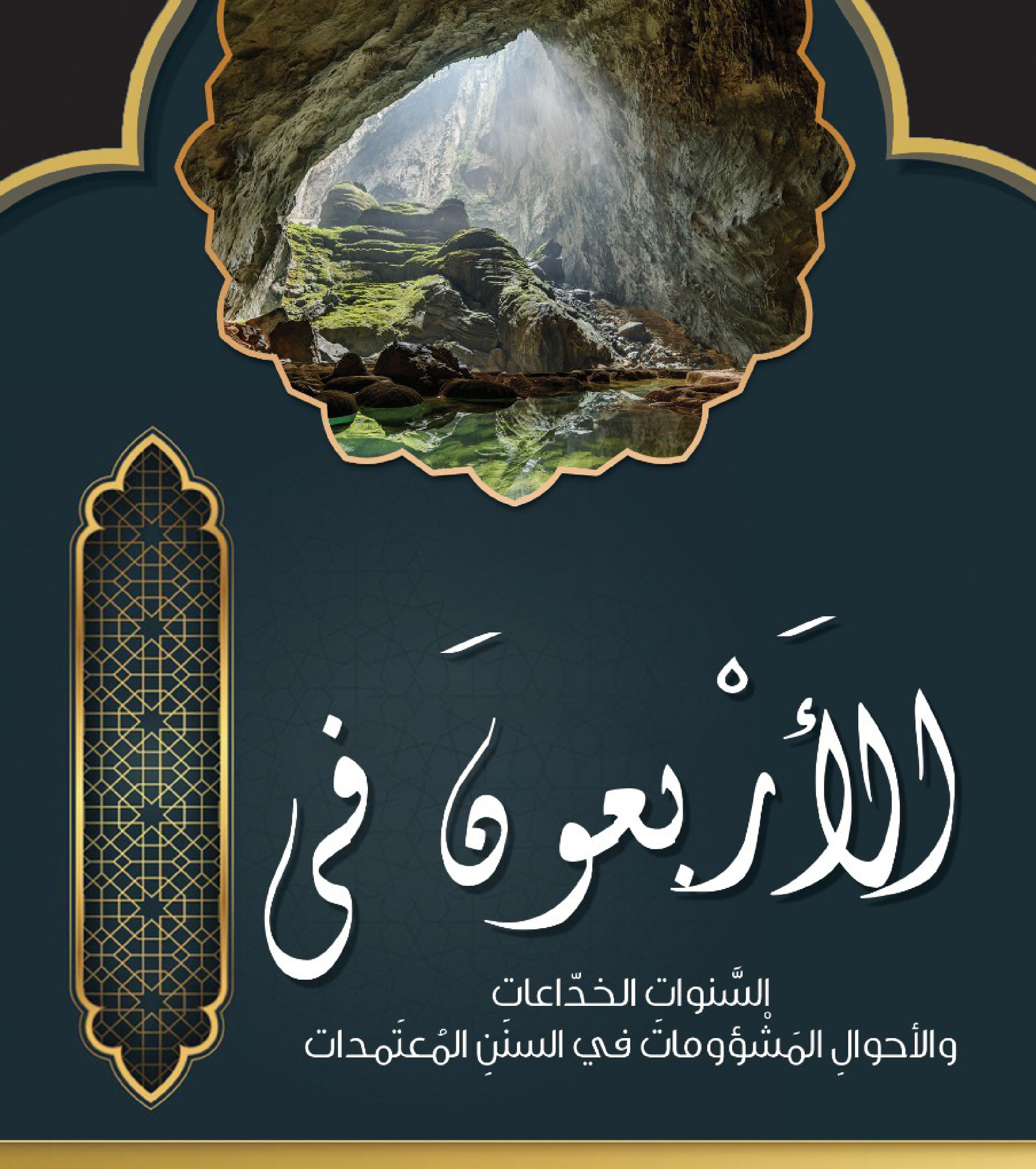


الأربعون في

السَّنوات الخدّاعات والأحوالِ المَشْؤوماتَ في السنَنِ المُعتَمدات

حمزة بن فايع إبراهيم آل فتحي عسيري

١٤٤٢ - ٢٠٢١

الطبعة الأولى



بسم الله الرحمن الرحيم

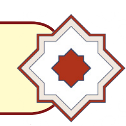
المِفْتاحُ

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاةُ والسلام على خاتم النبيين، وعلى آلهِ وصحبه أجمعين :

أما بعد:

فممَّا يؤلمُ المسلمَ هذه الأيام، انقلابُ المفاهيم، واختلالُ الموازين، وتراجعُ الاستمساك الشرعي، وهجرانُ القيم والسنن، وصيرورة الناس صرعى في دنياهم، على حساب دينهم.

وتتقلصُ الأخلاق، ويؤتى بماديات جديدة، وقيمٍ مزيفة لتحل محلَّ الخير والهدى والسمت الحسن، حتى لتشعرُ أنك في أزمنةٍ خادعة، قد حُشيت مَينا ونفاقًا، والله المستعان.

ومن أعجبِ الأخبار النبوية حديث (السنوات الخداعات)، الذي يَشي بانقلاب الأمور، وتبدل الأحوال، وجحود الشرائع، وإطراء البدائع، حتى يعيش المؤمنُ غربةً شديدة، ووحشةً مريدة، يتجرعُ من خلالها الآلام، وتتقصدُه الأحزان، حيث يندرسُ العلم، ويَشيعُ الجهل، وتشتد الخرافات، وتصبحُ لكل خرافة وضلالة ملأٌ وحزب، وجماعةٌ ومشيخة، يروجونها بلا حياء، وينشرونها على استخفاف، وتتلقى ذلك قنواتٌ ومواقعُ تروّج لباطلهم، حتى احتارت فئات، وتألمت طوائف، وتشوش أقوام،...!

وهو [زمن السنوات الخداعات]، والأفكار المشؤومات، التي يُبدَّل فيها الدينُ، وتُهجَر الشرائع، وتلبس الحقائق، ويُصدرُ السفهاء والفساق، والله المستعان.

ولما كان موسمُها ووقتها أشبهَ ما يكون بالنبوءة، ولا يمكن لأحد ذكرها أو الجزمُ، ناسبَ جمعُها وصورها من

خلال السننِ الصحاح، والأخبار الجياد، ومن عبارات السيد المختار عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

حتى يستيقنَ الذين آمنوا، ويعدوا العُدة، ويحزموا أمرهم، ويوحدوا صفهم، ويثبّتَ بعضُهم بعضا، وأنهم باتوا في آخر الزمان، ووقت اختلاف الألوان، ولم يعد ينفعُ سوى الثبات والإيمان.

ولذلك تُجمعُ هذه النصوص لطمأنة القلب بصحة الرسالة، ولحملها على العمل والمجاهدة، والدرء والمدافعة، وأن الاستسلامَ ليس من شيم أهلِ الإسلام، والضعة للأعادي، والمقاومة سلاح المصلحين، ولن تخلو الأرض من قائمٍ لله بحجة، ومن علماء نصَحة، ودعاة مشفقين، يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله . ولا يزالون مشاعلَ مضيئة، في الأزمنة الخداعة، والعهود التعيسة، يَدعون ويصبرون، ويعلّمون ويحتسبون، وعلى ربهم يتوكلون، وكذا هي سنةُ الحياة ...!

والعبـدُ الفقيـر علـى شـرطه فيـه مـن الصحـة وظهور الاستدلال به.

والشرطُ في السِّـفرِ لا ضعفٌ ولا خللٌ....بل الشموسُ تلاقيها فتُدنيها ...!

هـي المنائـرُ قد طلّت وقـد حسُـنت... بالمُقلتيـنِ وما حادت معانيها

فانظروهـا بتأمـل، وتدبروهـا بتعقـل، واقْفُـوا آثارَهـا وايماءاتهـا، واسـتلذوا بالسـنن، واغتبطُـوا بمتعـةِ الوعي، وحسـن الاتعاظ، جعلنا الله وإياكم من أهل سـنة رسـوله، والسـائرين على دربـه، والذابين عن منهاجه، إنـه جوادٌ برٌّ رحيم.

محايل عسير

١٤٤٢/٦/٥ هـ



(١) الحديثُ الأول

السنواتُ الخداعات

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ». قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»[١].

ولفظ المسند: «السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»[٢].

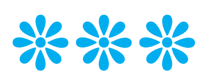
فيه التحذيرُ من موسمَ السنوات الخداعات الزائفات، قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي تكثر فيها الأمطار ويقل الربيع فذلك خدعها أي لأنهم تطمعهم بالخير، ثم تختلف وقيل الخدعة القليلة المطر من خدع الريق إذا جف».

(١) ابن ماجه (٤٠٣٦).
(٢) المسند (٧٩١٢).

وأن من سماتها انقلاب المفاهيم، وتبدل القيم، وركون الناس إلى المضلين والأشرار، وترك المهديين والخيار.

وتطاول الجهال الرابضين والأقزام على الشرائع وجلائل الأمور.

وجاء في لسان العرب: «قال أَبو منصور: الرُّوَيْبِضَةُ تصغير رابضةٍ وهو الذي يرعى الغنم، وقيل: هو العاجز الذي رَبَضَ عن معَالي الأُمور وقَعَد عن طَلبها، وزيادة الهاء للمبالغة في وصفه، جعل الرابِضَة راعِيَ الرَّبِيض كما يقال داهية، قال: والغالب أَنه قيل للتافه من الناس رابضة ورويبضة لربوضه في بيته وقلة انبعاثه في الأُمور الجسيمة».



(٢) الحديثُ الثاني

الرؤوسُ الجهال

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(١).

فيه الإخبار بأن قبضَ العلم بموت العلماء، وتصدير الناس للرؤوس الجهال، وخطرهم على الديانة، وذم الفتوى من غير أهلها، وأن ذلك من صور الغربة. قال الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تقوم الساعة حتى يصير العلمُ جهلاً، والجهل علماً».

(١) البخاري (١٠٠) مسلم (٢٦٧٣).

قـال الحافـظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هـذا الحديـث الحث على حفظ العلـم، والتحذير من ترئيس الجهلة، وفيه أن الفتوى هي الرياسة الحقيقية، وذم من يقدم عليها بغير علم».

قال النـووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«اتخذ الناس رءوسـا جهـالا»** ضبطنـاه في البخـاري: «رءوسـا» - بضم الهمـزة وبالتنويـن - جمـع رأس، وضبطـوه في مسـلم هنا بوجهيـن: أحدهما هذا، والثاني «رؤسـاء» - بالمد - جمع رئيس، وكلاهما صحيح، والأول أشهر».



(٣) الحديثُ الثالث

جمعُ المال بلا حسبان

عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَأْتِـي عَلَى النَّـاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَـرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ؛ أَمِـنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَـرَامِ»[١]. وبوَّب له: «بَابُ مَنْ لَمْ يُبَالِ مِنْ حَيْثُ كَسَبَ الْمَالَ».

فيه كشفُ حال الناس مع المال، وافتتانهم بمغرياته على حساب دينهم وتمسكهم.

قال في الفتح: «وقـال ابن التين: أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهـذا تحذيـرا من فتنـة المال، وهـو من بعض دلائـل نبوته لإخبـاره بالأمور التي لم تكن في زمنه. ووجه الذم من جهة التسـوية بيـن الأمريـن، وإلا فأخذُ المال مـن الحلال ليس مذموما من حيث هو، والله أعلم».

(١) البخاري (٢٠٥٩).

(٤) الحديثُ الرابع

الحثالة الباقية

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُغَرْبَلُونَ فِيهِ غَرْبَلَةً، يَبْقَى مِنْهُمْ حُثَالَةٌ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا، فَكَانُوا هَكَذَا». وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَدَعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَدَعُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ»[١].

فيه التحذيرُ من حثالة آخر الزمان، ومروج عهودهم، وذهاب أماناتهم، الذين تتبدل أخلاقهم ودينهم، ولزوم الطريق حينها، واعتزال أماكنهم ومناكرهم.

(١) المسند (٧٠٤٩).

(٥) الحديثُ الخامس

ظهورُ الخونة

عن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». قَالَ عِمْرَانُ: لَا أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»(١).

فيه بيانُ فضل القرون المفضلة الثلاثة وحُسن تدينها وجمال صدقهم، والتحذير مما يظهر بعد ذلك من تساهل ديني، وانحراف أخلاقي، قال الحافظ ابن الجوزي رَحِمَهُٱللَّهُ: المراد أنهم لا يتورعون ويستهينون بأمر الشهادة واليمين.

---

(١) البخاري (٢٦٥١) مسلم (٢٥٣٥).

وفي الحديث: ذم التوسع في المطاعم لما فيها من التعلق بالدنيا ونسيان الجد وشؤون الآخرة.

قال في التحفة: وقيل أراد جمعهم الأموال وقيل يحبون التوسع في المآكل والمشارب وهي أسباب السمن .

وقال التوربشـتي: كنى به عن الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الدين، فإن الغالب على ذوي السمانة أن لا يهتموا بارتياض النفـوس بل معظـم همتهم تناول الحظـوظ والتفرغ للدعة والنوم .

وفي شرح مسلم: قالوا: المذموم من السمن ما يستكسب وأما ما هو خلقة فلا يدخل في هذا . انتهى.

❋❋❋

(٦) الحديثُ السادس

جحودُ السنة

عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، ...»(١).

فيه التأكيدُ على ظهور طوائف تستنقص الدين، وتكتفي بالقرآن إيمانًا ومنهاجًا، وهذا باطل غير صحيح، لا يجديها ولا يغني عنها شيئا.

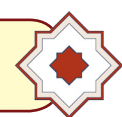
ولا يصح إيمانُ العبد إلا بالوحي كله قرآنا وسنة.

قال في العون: **(ألا يوشك)** قال الخطابي: يحذر بذلك

---

(١) أبو داود (٤٦٠٤).

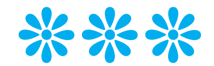




مخالفة السنن التي سنها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مما ليس له ذكـر في القـرآن على ما ذهب إليه الخـوارج والروافض من الفرق الضالة فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي ضمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا. انتهى.

(رجل شبعان) هو كناية عن البلادة وسوء الفهم الناشئ عن الشـبع أو عن الحماقة اللازمة للتنعـم والغرور بالمال والجاه.

(علـى أريكته) أي: سـريره المزيـن بالحلل والأثواب، وأراد بهـذه الصفـة أصحـاب الترفـه والدعة الذيـن لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم من مظانه.



(٧) الحديثُ السابع

توسيدُ الأمر إلى غير أهله

عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَـدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِـيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّـاعَةُ؟ فَمَضَـى رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَـدِّثُ، فَقَـالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَـمِعَ مَا قَالَ فَكَـرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُـمْ: بَلْ لَمْ يَسْـمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَـى حَدِيثَهُ، قَالَ: «أَيْنَ أُرَاهُ السَّـائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّـاعَةَ». قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّـدَ الْأَمْـرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[١].

فيه أن حركة تصدير السـفهاء على الفضلاء، والأشـرار على الاخيار، وان ذلك من سـمات السـنوات الخداعات،

---

(١) البخاري (٥٩).

حيث تغليب الشكل على المضمون، والوجاهات على العقول وحسن الصفات.

❊❊❊

(٨) الحديثُ الثامن

تغييرُ أسامي الخمور

عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»[١].

فيه بيان ما يكون في آخر الزمان من تبديل المحرمات بمسميات تجيزها احتيالاً، كالخمرة تسمى الآن مشروبات روحية، أو كيفًا....

قال في العون رَحِمَهُ اللَّهُ:" **(ليشربن)** أي: والله ليشربن.

(يسمونها بغير اسمها) قال التوربشتي: أي: يتسترون في شربها بأسماء الأنبذة.

وقال ابن الملك: أي: يتوصلون إلى شربها بأسماء الأنبذة

---

(١) أبو داود (٣٦٦٨).

المباحة كماء العسـل وماء الـذرة ونحو ذلك ويزعمون أنه غيـر محرم؛ لأنـه ليس من العنب والتمـر، وهم فيه كاذبون لأن كل مسكر حرام.

قال القاري: فالمدار على حرمة المسكر فلا يضر شرب القهوة المأخوذة من قشـر شجر معروف حيث لا سكر فيها مـع الإكثار منها، وإن كانت القهوة من أسـماء الخمر، لأن الاعتبار بالمسـمى كما في نفس الحديث إشـارة إلى ذلك، وأما التشـبه بشـرب الخمر فهو منهي عنـه إذا تحقق ولو في شرب الماء واللبن وغيرهما. انتهى.

وفي الحديـثِ: عَلَمٌ مِنْ أعلامِ النُّبـوَّةِ، حيثُ أخبَرَ النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بما يكونُ بعدَه.

وفيه: تحريم الحيل والوعيدُ الشديد لِمَنْ يتَحيَّلُ المحرم بتغييـرِ اسْـمِه، وأنَّ الحُكمَ يَـدورُ مع العِلَّةِ وُجـودًا وعدَمًا، والعلَّةُ في تحريمِ الخمرِ الإسكارُ.



(٩) الحديثُ التاسع

تخصيص السلام

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ إِذَا كَانَتِ التَّحِيَّةُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ»(١).

فيه هجرانُ السلام في آخر الزمان، واختصاصه بالمعارف والقرابات، بحيث يتلاقى المسلمان، فلا يزجي بعضهم لبعض السلام، فتختل الأخلاق، وتذبل الشيم، ويعم الاغتراب.

❊❊❊

(١) المسند (٣٦٦٤).

(١٠) الحديثُ العاشر

تطاولُ الفقراء

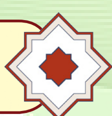
عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث جبريل الطويل، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»[١].

فيه بيانُ ما يكونُ من تطاول الفقراء وذوي المسكنة في القرون المتأخرة، واستعلاؤهم بغير حق، واندثار أخلاقيات الناس، وانفتاح الدنيا عليهم، حتى إنهم ليتنافسون على زهرة الدنيا ويهجرون جنةَ الآخرة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**» أما «العالة» فهم الفقراء، والعائل: الفقير، والعيلة الفقر، وعال الرجل

---

(١) مسلم (٨).

يعيـل عيلـة أي افتقر. والرعاء بكسـر الـراء وبالمد، ويقال فيهـم: رعاة؛ بضم الراء وزيادة الهـاء بلا مد ومعناه أن أهل البادية وأشـباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان. والله أعلم».



(١١) الحديثُ الحادي عشر

غُربةُ الدين

عَـنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ، قَـالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَـيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»[١].

فيـه بيان غربة الإسـلام، بقلـة أعداده، وضعف شـعائر أهله، وتراجع حملته.

قال العلماء: «أَنَّ الإِسْـلام بَدَأَ فِي آحَاد مِنْ النَّاس وَقِلَّة، ثُـمَّ اِنْتَشَـرَ وَظَهَرَ، ثُمَّ سَـيَلْحَقُهُ النَّقْـص وَالإِخْلال، حَتَّى لا يَبْقَى إِلا فِي آحَاد وَقِلَّة أَيْضًا كَمَا بَدَأَ» اهـ.

قـال النـووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «و(طُوبـى) فُعلـى مـن الطيب. قالـه الفـراء قـال: وإنما جـاءت الـواو لضمة الطـاء. قال:

---

(١) مسلم(١٤٥).

وفيها لغتـان، تقول العرب: طوباك وطوبى لك. وأما معنى «طوبى» فاختلف المفسـرون في معنى قوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾[1] فـروي عـن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن معنـاه فرحٌ وقرة عيـن . وقال عكرمة: نعم ما لهم . وقال الضحـاك: غبطة لهم. وقال قتادة: حسـنى لهم. وعن قتادة أيضا معنـاه: أصابوا خيرا. وقال إبراهيم: خير لهم وكرامة: وقال ابن عجلان: دوام الخير. وقيل: الجنة. وقيل: شـجرة في الجنة. وكل هذه الأقوال محتملة في الحديث. والله أعلم.

قـال ابـن القيـم رَحِمَهُ اللَّهُ: ومـن صفـات هـؤلاء الغرباء -الذيـن غبطهـم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - التمسـك بالسـنة إذا رغـب عنها الناس وترك ما أحدثوه، وإن كان هو المعروف عندهم، وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس، وترك الانتسـاب إلى أحد غير الله ورسـوله، لا شيخ، ولا طريقة، ولا مذهب، ولا طائفة. بل هؤلاء الغرباء منتسـبون إلى الله

(١) [سورة الرعد: آية ٢٩].

بالعبودية له وحده، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده. وهؤلاء هـم القابضون على الجمر حقـاً وأكثر الناس، بل كلهـم لائم لهـم. فلغربتهم بين هذا الخلـق: يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم».

❊❊❊

(١٢) الحديثُ الثاني عشر

التشبة بالكفار وأتباعهم

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»[١].

فيه بيانُ تبدل أحوال المسلمين، وذوبانهم في عادات الأمم المتسلطة من أهل الكتاب، حتى يغوصوا في النفق الضيق المظلم بلا مبالاة ..!

قال في الفتح رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: (لتتبعن) بضم العين وتشديد النون (سنن) بفتح المهملة أي: طريق (من قبلكم) أي: الذين قبلكم.

---

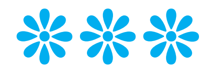
(١) البخاري (٧٣٢٠) مسلم (٢٦٦٩).

قوله: **(جحر)** بضم الجيم وسكون المهملة **(ضب)** بفتح المعجمة وتشديد الموحدة: دويبة معروفة، يقال: خصت بالذكر؛ لأن الضب يقال له: قاضي البهائم، والذي يظهر أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته، ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لتبعوهم.

قوله: **(قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فمن؟)** هو استفهام إنكاري، أي: ليس المراد غيرهم،... قال ابن بطال: أعلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء، كما وقع للأمم قبلهم، وقد أنذر في أحاديث كثيرة بأن الآخر شر، والساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، وأن الدين إنما يبقى قائما عند خاصة من الناس. قلت: وقد وقع معظم ما أنذر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيقع بقية ذلك،..!

قال العلامة ابن خلدون رَحِمَهُ اللَّهُ: «في المقدمة: «فصل في أن المغلوب مولَع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده».

« والسـبب في ذلـك أن النفس أبدا تعتقـد الكمال فيمن غلبهـا وانقادت إليه، إما لنظره بالكمـال بما وقَر عندها من تعظيمه، أو لما تُغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنمـا هـو لكمال الغالـب. فـإذا غالطت بذلـك واتصل لها حصـل اعتقادا، فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشـبهت به».



(١٣) الحديثُ الثالث عشر

أخذُ القرونِ السابقة

عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَـنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شِـبْرًا بِشِـبْرٍ، وَذِرَاعًا بِـذِرَاعٍ». فَقِيلَ: يَا رَسُـولَ اللهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: «وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ»[١].

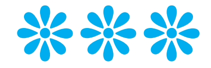
فيه توصيفُ ما تؤول إليه أوضاع أمتنا الإسلامية وتعلقها بآخرين محاكاةً وتأثرا.

قال في الفتح: والأخذُ بفتح الألف وسكون الخاء على الأشهر هو السيرة، يقال: أخذ فلان بأخذ فلان؛ أي سار بسيرته، وما أخذ أخذه، أي ما فعل فعله ولا قصد قصده، ... قوله: «كفارس والروم» يعني الأمتين المشهورتين في ذلك الوقت، وهم الفرس في ملكهم كسرى، والروم في ملكهم

(١) البخاري (٧٣١٩).




قيصر، وفي رواية الإسماعيلي المذكورة: «**كما فعلت فارس والروم**». قوله: «**ومن الناس إلا أولئك**» أي فارس والروم، لكونهم كانوا إذ ذاك أكبر ملوك الأرض وأكثرهم رعية وأوسعهم بلادا.



(١٤) الحديثُ الرابع عشر

ارتفاعُ الأمانة

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ، قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ. حَدَّثَنَا أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، -أي الأصل- ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ. ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ ،-أي الأثر- ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ -أي التنفط في اليد- كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا -أي مرتفعا- وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ - ثُمَّ أَخَذَ حَصًى، فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ - فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا.

حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ، مَا أَظْرَفَهُ، مَا أَعْقَلَهُ، وَمَا فِـي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِـنْ إِيمَانٍ». وَلَقَدْ أَتَى عَلَـيَّ زَمَانٌ، وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْـلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِـنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ ،-أي رئيسه - وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا[(١)].

فيه بيان رفـع الأمانة واندثار الشـرائع من قلوب الناس وحياتهم، وضعف استمساكهم بالشريعة.

قـال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الأمانـة فالظاهر أن المراد بها التكليـف الذي كلف الله تعالى به عباده والعهد الذي أخذه عليهم .

قال الإمام أبو الحسن الواحدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ ﴾[(٢)].

(١) مسلم (١٤٣).

(٢) [سورة الأحزاب: آية ٧٢].

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: هي الفرائض التي افترضها الله تعالى على العباد. وقال الحسن: هو الدين، والدين كله أمانة. وقال أبو العالية: الأمانة ما أمروا به وما نهوا عنه.

❊❊❊

(١٥) الحديثُ الخامس عشر

فسادُ بعضِ العلماء

عَـنْ أَنَسِ بْـنِ مَالِكٍ، قَالَ: قِيـلَ: يَا رَسُـولَ اللهِ، مَتَى نَدَعُ الِائْتِمَارَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْـيَ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: «إِذَا ظَهَـرَ فِيكُمْ مَـا ظَهَرَ فِي بَنِي إِسْـرَائِيلَ، إِذَا كَانَتِ الْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ، وَالْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالْعِلْمُ فِي رُذَالِكُمْ»[(١)].

فيه بيانُ تدهور مصدر العلم في أواخر الزمان، وصيرورته في أيدي السفلة والفساق، ومتاجرتهم به، وأنهم إنما يحملونه لمقاصد دنيوية، ويقل أهله أرباب التقوى والمخافة.

❊❊❊

(١) المسند (١٢٩٤٣). وإسناده قوي.

(١٦) الحديثُ السادس عشر

جنايةُ الأئمةِ المضلين

عَـنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي، الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ»[(١)].

فيـه ذمُّ حـال الأئمـة المضلين، من متصدرين وشـيوخ وقادة، انتهجوا الضلال، واختاروا الغواية، وما بالوا بالشرائع ولا الديانة، وأنهم سـبب في انحراف الناس، وتخبطهم عن الصراط السوي، والمنهج القويم.

وجنايتهـم تكمن في اسـتطالتهم، أو الاغترار بفعائلهم، أو تقليد الجهال لهم.

❋❋❋

---

(١) الترمذي (٢٢٢٩).

(١٧) الحديثُ السابع عشر

علماءُ اللسان

عَـنْ عُمَـرَ بْـنِ الْخَطَّـابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ»(١).

فيه تخوفُ رسـول الله من علماء السـوء، وإشفاقه على أمتـه، وذم علماء اللسـان وفصحـاء الكلمـة، الذين طابت ألسـنتهم ولـم تَطِـب قلوبهـم، وصلحـت ملافظهـم، وما زكت نفوسـهم، كالمنافقين والمعجبين، وطلاب الشهرة، والمال، والجاه.

❊❊❊

(١) المسند(١٤٣). وإسناده قوي.

(١٨) الحديثُ الثامن عشر

بيعُ الدين بالدنيا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «بَـادِرُوا بِالْأَعْمَـالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْـلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُـلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِـي كَافِـرًا - أَوْ: يُمْسِـي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا - يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[١].

فيه بيانُ خطورةِ الفتن المظلمة المدلهمة، والتي تحمل على التبديل والنكوص، وضرورة المسارعة بالأعمال، وأن المسارعةَ سبب للنجاة والثبات، وتوخي درب السلامة.

قـال النـووي رَحِمَهُٱللَّهُ: «معنـى الحديـث الحـثُّ علـى المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بمـا يحدث من الفتن الشـاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظـلام الليل المظلم لا المقمـر. ووصف صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نوعا

(١) مسلم (١١٨).

من شدائد تلك الفتن، وهو أنه يمسي مؤمنا ثم يصبح كافرا أو عكسه. شك الراوي، وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب. والله أعلم».

❊❊❊

(١٩) الحديثُ التاسع عشر

تهوينُ الفقراء

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟». فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ. قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟». فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»(١).

---

(١) البخاري (٦٤٤٧).

فيه أن الكرامةَ بالدين والتقـوى، وليس بالمال والجاه، ورفعـة الفقـراء علـى غيرهـم إذا صلحوا وطابـوا، خلافـًا الجـاري بين النـاس من تصدير الأشـرار لغناهـم، وتقليل الفقـراء لوضعهـم، ومنقبة لذلك الرجل، واسـمه في بعض الروايات جُعيل بن سراقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قـال في الفتح: وفي الحديث بيانُ فضل جُعيل المذكور، وأن السـيادة بمجرد الدنيا لا أثر لها، وإنما الاعتبار في ذلك بالآخـرة كما تقـدم: «أن العيش عيش الآخـرة»، وأن الذي يفوتـه الحظ مـن الدنيا، يُعاض عنه بحسـنة الآخـرة، ففيه فضيلـة للفقر كما ترجم به، لكن لا حجة فيه لتفضيل الفقير على الغني... انتهى بتصرف.



(٢٠) الحديثُ العشرون

غيابُ المُصلحين

عَـنْ زَيْنَـبَ بنـتِ جَحْـشٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَـلَ عَلَيْهَا يَوْمًـا فَزِعًا، يَقُـولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَـرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ -أي السـد- ». وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ؛ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بْنَةُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخُبْثُ»[١].

فيـه أن غيابَ المصلحيـن وقلة الناصحين من أسـباب الهـلاك، وفضـل المصلح علـى الصالـح، وأن عمله نافع متعدٍ، وعظم شـر يأجوج ومأجوج، وأنهم وسدُّهم كائنون على هذه البسيطة، وضرورة التوقي وأخذ الحيطة.

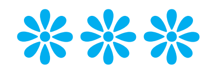
---

(١) البخاري (٧١٣٥) مسلم (٢٨٨٠).




قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: «**أنهلِك وفينا الصالحون؟ قال: إذا كثر الخبث**» هو بفتح الخاء والباء، وفسره الجمهور بالفسوق والفجور، وقيل: المراد الزنا خاصة، وقيل: أولاد الزنا، والظاهر أنه المعاصي مطلقا، و«نهلك» بكسر اللام على اللغة الفصيحة المشهورة، وحكي فتحها، وهو ضعيف أو فاسد.

ومعنى الحديث: أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام، وإن كان هناك صالحون.



(٢١) الحديثُ الحادي والعشرون

علمُ الأصاغر

عن أبي أمية الجُمَحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنَّ من أشراط الساعة أن يُلتمسَ العلمُ عند الأصاغر»(١) .

فيه إن من علامات الساعة التماس العلم من الأحداث، أو ممن قل شأنهم، حيث لا تمكن ولا دراية، ولا إتقان ولا عناية، وفسرت الاصاغر، بأهل البدع، الذين انحرف منهجهم، أو خاب مسلكهم، فانتشرت بهم أهواء ،وحلت بهم أرزاء.

❊❊❊

---

(١) الطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٦١) الزهد لابن المبارك ص (٦١).

(٢٢) الحديثُ الثاني والعشرون

تقلبُ أهل النفاق

عَـنِ ابْنِ عُمَـرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِـيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّـاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً»(١).

فيـه بيـانُ وصـف المنافقيـن ونفسـياتهم، وكيـف أنهم متذبذبون، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، يتبعون مصالحهم وشهواتهم، كما وصفهم القرآن

قال النـووي رَحِمَهُٱللَّهُ: العائرة: المترددة الحائرة لا تدري لأيهما تتبع، ومعنى «تعير» أي: تردد وتذهب.

قال الشـيخ السـندي رَحِمَهُٱللَّهُ: «أي المترددة بين قطيعين مـن الغنـم وهي التـي تطلـب الفحل فتـتردد بيـن قطيعين

---

(١) مسلم (٢٧٨٤).

ولا تستقر مع إحداهما والمنافق مع المؤمنين بظاهره ومع المشركين بباطنه تبعا لهواه وعرضه الفاسد، فصار بمنزلة تلك الشاة وفيه سلب الرجولية عن المنافقين ..».

❊❊❊

(٢٣) الحديثُ الثالث والعشرون

حثالةُ آخر الزمان

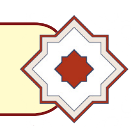
عن عَبْدُ اللهِ بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، كَيْفَ بِكَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ بِهَذَا؟»[١].

وفِي رواية أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ - أَوْ: يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ - يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً، تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا». وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. فَقَالُوا: وَكَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ»[٢].

---

(١) البخاري (٤٧٩).

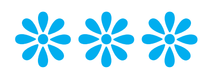
(٢) أبي داود (٤٣٤٢)..





فيه خطورة العيش آخر الزمان، وخطورة حثالته وصفات أهليه المبدلين، الذين لا إيمانَ ولا أمانة، ولا عهدَ ولا ديانة، وأن الأخيار يذهبون ويتقلصون، وتشتد تلك الحثالات.

قال في الفتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال الخطابي: الحُثالة بالفاء وبالمثلثة الرديء من كل شيء، وقيل: آخر ما يبقى من الشعير والتمر وأردؤه، وقال ابن التين: الحثالة سقط الناس، وأصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير وغيرهما، وقال الداودي: ما يسقط من الشعير عند الغربلة ويبقى من التمر بعد الأكل».



(٢٤) الحديثُ الرابع والعشرون

الموقف من هذه الحثالة

عن ابن عمرو في حديثه السابق، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ، فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا». وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: «الْزَمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامة».

وفِي رواية ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «تَأْخُذُونَ بِمَا تَعْرِفُونَ، وَتَدَعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَوَامِّكُمْ».

فيـه بيـان كيفيـة التعايش مـع حثالة آخـرِ الزمـان، وأن المنهـج الشـرعي تجاهـم هجرهم والمكـث في البيوت، وحفظ الألسن، واستصلاح النفس وتزكيتها.

❊❊❊

(٢٥) الحديثُ الخامس والعشرون

انقراضُ القدوات

عَنْ مِرْدَاسٍ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ - أَوِ التَّمْرِ - لَا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً». قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: يُقَالُ: حُفَالَةٌ وَحُثَالَةٌ[١].

فيه الإخبار بذهاب الصالحين، وفقدان الربانيين، وانتهاء الحياة إلى حثالة تعيسة لا يباليهمُ الله باله.

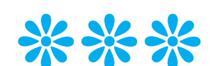
قال في الفتح: قوله: «لا يباليهم الله بالة» قال الخطابي: أي لا يرفع لهم قدرا، ولا يقيم لهم وزنا، يقال: باليت بفلان، وما باليت به، مبالاة وبالية وبالة ....

وقال ابنُ بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: في الحديث أن موت الصالحين من أشراط الساعة. وفيه الندب إلى الاقتداء بأهل الخير

---

(١) البخاري (٦٤٣٤).

والتحذير من مخالفتهم؛ خشـية أن يصير من خالفهم ممن لا يعبـأ الله بـه، وفيه أنه يجـوز انقراض أهـل الخير في آخر الزمان حتى لا يبقى إلا أهل الشـر، واسـتدل به على جواز خلـو الأرض من عالم حتى لا يبقى إلا أهل الجهل صرفا، ويؤيده الحديث الآتي في الفتن: «حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا».



(٢٦) الحديثُ السادس والعشرون

توالي فساد الأزمنة

عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: اصْبِرُوا ؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(١)].

فيه بيان توالي الأزمنة في الفساد، وأن تأخر الحياة والخلائق مؤذن بتبدل الناس وظهور شرارهم في الغالب والله تعالى أعلم.

قال في الفتح: قال ابن بطال: هذا الخبرُ من أعلام النبوة لإخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفساد الأحوال، وذلك من الغيب الذي لا يعلم بالرأي وإنما يعلم بالوحي، انتهى، وقد استشكل هذا الإطلاق مع أن بعض الأزمنة تكون في الشر دون التي

(١) البخاري (٧٠٦٨).

قبلها، ولو لم يكن في ذلك إلا زمن عمر بن عبد العزيز وهو بعد زمن الحجاج بيسير، وقد اشتهر الخبر الذي كان في زمن عمر بن عبد العزيز، بل لو قيل: إن الشر اضمحل في زمانه لما كان بعيدا فضلا عن أن يكون شرا من الزمن الذي قبله، وقد حمله الحسن البصري على الأكثر الأغلب، فسئل عن وجود عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج فقال: لا بد للناس من تنفيس.

وأجاب بعضهم أن المراد بالتفضيل: تفضيل مجموع العصر على مجموع العصر؛ فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة في الأحياء، وفي عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا، والزمان الذي فيه الصحابة خير من الزمان الذي بعده؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خير القرون قرني**» وهو في الصحيحين ...

❋❋❋

(٢٧) الحديثُ السابع والعشرون

إطفاءُ السنن

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَيَلِي أُمُورَكُمْ بَعْدِي رِجَالٌ يُطْفِئُونَ السُّنَّةَ، وَيَعْمَلُونَ بِالْبِدْعَةِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ أَدْرَكْتُهُمْ ؛ كَيْفَ أَفْعَلُ؟ قَالَ: تَسْأَلُنِي يَا ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ كَيْفَ تَفْعَلُ؟ «لَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللهَ»[١].

فيه أن من معالم السنوات الخداعات اطفاء السنن، وتغييب الشرائع، وإبدال دين الناس، فلا يَضيقون من شيء كدين الله، ولا يشمئزون إلا من أهله، ورواد بيته، فوجب اتقاؤهم والتباعد عن طريقهم.

---

(١) ابن ماجه (٢٨٦٥). وسنده صحيح.

(٢٨) الحديثُ الثامن والعشرون

تأخيرُ الصلوات وإماتتُها

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا، أَوْ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا»، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ»[١].

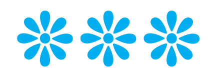
فيه بيانُ فضل الصلوات في أوقاتها، وكراهة تأخيرها، وكشف القادة الذين يتعمدون ذلك وإماتتها، ومجاراتهم ما دامت في الوقت، وكراهية الخلاف معهم.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: معنى «يميتون الصلاة»: يؤخرونها، فيجعلونها كالميت الذي خرجت روحه، والمراد بتأخيرها عن وقتها، أي: عن وقتها المختار لا عن جميع وقتها؛

(١) مسلم (٦٤٨).

فإن المنقول عن الأمراء المتقدمين والمتأخرين إنما هو تأخيرها عن وقتها المختار، ولم يؤخرها أحد منهم عن جميع وقتها، فوجب حمل هذه الأخبار على ما هو الواقع.

وفي هذا الحديث: الحث على الصلاة أول الوقت، وفيه: أن الإمام إذا أخرها عن أول وقتها يستحب للمأموم أن يصليها في أول الوقت منفردا، ثم يصليها مع الإمام فيجمع فضيلتي أول الوقت والجماعة،... وفيه الحث على موافقة الأمراء في غير معصية؛ لئلا تتفرق الكلمة وتقع الفتنة، ولهذا قال في الرواية الأخرى: «إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا مجدع الأطراف»، وفيه أن الصلاة التي يصليها مرتين تكون الأولى فريضة والثانية نفلا،...!



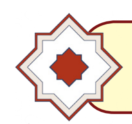
(٢٩) الحديثُ التاسع والعشرون

التباعدُ عن الظلم وأهله وصفاتهم

عَـنْ كَعْـبِ بْنِ عُجْـرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَـالَ لِي رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُعِيذُكَ بِاللهِ يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ مِنْ أُمَرَاءَ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ غَشِـيَ أَبْوَابَهُمْ فَصَدَّقَهُمْ فِي كَذِبِهِـمْ، وَأَعَانَهُـمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْـتُ مِنْـهُ، وَلَا يَرِدُ عَلَـيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ غَشِـيَ أَبْوَابَهُمْ أَوْ لَـمْ يَغْشَ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ فِي كَذِبِهِـمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ»[(١)].

فيه بيانُ طرقِ السلامة في الأزمنة المستوحشة، والبيئات الشـائنة، بالبعد والانعزال وهجران أماكـن الدجل والظلم والتزييف.

(١) الترمذي (٢٦١٤).





قـال في التحفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قولـه: «**أعيذك بـالله يا كعب بن عجرة مـن أمراء**» أي من عملهم أو مـن الدخول عليهم أو اللحوق بهم

«**يكونون مـن بعدي**» يعني سـفهاء موصوفين بالكذب والظلم «**فمن غشي أبوابهم**».



(٣٠) الحديثُ الثلاثون

أزمنةُ الكذب والتهريج

عَـنِ ابْنِ عُمَـرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَـالَ: خَطَبَنَـا عُمَـرُ بِالْجَابِيَةِ -قرية بدمشق- فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا، فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْـهَدَ الشَّـاهِدُ وَلَا يُسْتَشْـهَدُ، أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَـا الشَّـيْطَانُ، عَلَيْكُـمْ بِالْجَمَاعَـةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ؛ فَإِنَّ الشَّـيْطَانَ مَعَ الْوَاحِـدِ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَـدُ، مَـنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْـزَمِ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمُ الْمُؤْمِنُ»(١).

(١) الترمذي (٢١٦٥). وسنده حسن.

فيه التحذيـرُ من صفات بعضِ الأزمنة التي يفشـو فيها الكـذب، وتُزيّـف الأخـلاق، ويكثـر المهرجـون، والذين يشهدون بلا طلب ورغبة.

قـال في التحفـة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ثـم يفشـو الكـذب**» أي يظهر وينتشـر بيـن النـاس بغير نكيـر، «**حتى يحلـفَ الرجل ولا يستحلف**» أي لا يطلب منه الحلف لجرأته على الله ويشهد الشاهد ولا يستشهد».

قـال الترمـذي في أواخر الشـهادات: «المراد به شـهادة الزور».



(٣١) الحديثُ الحادي والثلاثون

تسلطُ اللئام والأراذل

عَـنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَـانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُـومُ السَّـاعَةُ حَتَّـى يَكُـونَ أَسْـعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ بْنُ لُكَعَ»[١].

فيـه بيـانُ معلَمٍ من أشـراط السـاعة، وهو علامـة جليةٌ للسنوات الخداعات، حيث تبدل المفاهيم، واندثار القيم، ومروج العهود، وانخفاض الأخيار، وتسلط اللئام.

قال في التحفة: «قوله: (حتى يكون أسعد الناس) بنصب أسـعد ويرفـع أي أكثرهم مـالا، وأطيبهم عيشـا، وأرفعهم منصبا وأنفذهم حكمـا (بالدنيا) أي بأمورها أو فيها، (لُكَع بـن لكع) بضم اللام وفتح الكاف غير مصروف أي لئيم بن لئيـم، أي رديء النسـب، دنيء الحسـب. وقيـل أراد به من

(١) الترمذي (٢٢٠٩). وسنده صحيح.

لا يعـرف له أصل، ولا يحمد له خلـق، قاله القاري . وقال في النهايـة: اللكـع عند العرب العبد ثم اسـتعمل في الحمق والـذم، يقال للرجـل لكع وللمرأة لكاع، وقـد لكع الرجل يلكـع لكعا فهو ألكـع . وأكثر ما يقع في النـداء وهو اللئيم، وقيل الوسخ، وقد يطلق على الصغير».

❊❊❊

(٣٢) الحديثُ الثاني والثلاثون

نقضُ عُرَى الإسلام

عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لتُنقَضَنَّ عرَى الإسلامِ عروةً عروةً، فكلما انتقضت عـروةٌ، تشـبَّث النـاس بالتي تليهـا، فأولهـنَّ نقضًا: الحُكْم، وآخِرُهنَّ الصلاة»[1].

فيـه أن الإسـلامَ عُـرَى وشُـعب، وأن انتقاضَها سـبب للضعف، وهو سـمة للسـنوات الخداعات وفساد الأزمنة، واختـلاف الناس، وأولى المنتَقضات شـريعة الله والحكم بها، وهـذا ظاهر في حياتنا العامة، تُهجر الشـرائع، وتسـوَّدُ غيرهـا من قوانين البشـر، حتى يبيتَ الإسـلام غريبًا حزينًا والله المستعان.

(١) المسند (٢٢١٦٠) ابن حبان (٦٨٣٩). بإسناد جيد.

(٣٣) الحديثُ الثالث والثلاثون

طاعاتٌ مغشوشة

عـن عَائِشَـةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا زَوْجَ النَّبِـيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ تَقُولُ: «لَوْ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ رَأَى مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ الْمَسْجِدَ، كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ: فَقُلْتُ لِعَمْرَةَ: أَنِسَـاءُ بَنِي إِسْـرَائِيلَ مُنِعْنَ الْمَسْـجِدَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ»(١).

فيه بيان ما حصلَ من تبديل النساء في حجابهن، واستعمال زينتهـن في الخروج والإفراط في الطيب والتجمل، الذي لا يوحـي بإحداث طاعة، وإنما فتنة وإغواء، والله المسـتعان. وفيه منقبةٌ وثبات عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، وحفاظها على ما ورثته من الدين والسـنة التزاما وتوقيـرا، وأن من فقهها، أن الطاعات لا تكون نافذة للفساد والافتتان.

---

(١) البخاري (٨٦٩) مسلم (٤٤٥).

وأن الأنبياء وورثتهم لا يرتضون هذه المناكر، ويغضبون لله تعالى ولشرعه.



(٣٤) الحديثُ الرابع والثلاثون

دجاحلةُ العلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا دَجَالًا، كُلُّهُمْ يَكْذِبُ عَلَى اللهِ وَعَلَى رَسُولِهِ»[١].

وفِي مقدمة مسلم: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ».

فيه الإخبارُ بخروج الدجاجلة والأفاكين، وفشوِّ الكذب وبروز أهله المدعين للعلم والفهم، وافترائهم على دين الله ومساسهم المقام النبوي . والحذر من التساهل في الروايات النبوية، أو ممن يروج لها بلا تحقق وتثبت، قال تعالى :

(١) أبو داود (٤٣٣٤) واللفظ له . المسند (٩٨١٨).

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾[1].

والبرهان في الأحاديث الوقوفُ على أسانيدها أو تصحيح الأئمة المعتبرين لها.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد وُجد من هؤلاء خلقٌ كثيرون في الأعصار وأهلكهم الله تعالى وقلع آثارهم، وكذلك يفعل بمن بقي منهم. انتهى.

❋❋❋

(١) [سورة البقرة: آية ١١١].

(٣٥) الحديثُ الخامس والثلاثون

ظهورُ الشرك والكذابين

عـن ثوبـانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُـومُ السَّـاعَةُ حَتَّـى تَلْحَـقَ قَبَائِـلُ مِـنْ أُمَّتِـي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي»(١).

فيه كشـفُ حصول الشـرك في هذه الأمة، ولحوقُ قبائل بالمشركين والضالين، وهو علَم من أعلام النبوة، فقد وقع ذلك بعد وفاته مباشـرة زمن الردة وقاتلهم الصديق، ووقع في العصـور المتأخرة، حينمـا تقلص الخير، وقـلَّ العلماء والناصحون، وتفشـت الشـرور والخلاعـة، والانحرافات العقدية، ولَم يقم أهلُ الواجب بدورهم والله المستعان.

---

(١) أبو داود (٤٢٥٢) الترمذي (٢٢١٩).

(٣٦) الحديثُ السادس والثلاثون

تبدلُ بعض القبائل العربية

عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ». وَذُو الْخَلَصَةِ: طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ[(١)].

فيه تاكيدُ التبدل العقدي والإيماني في هذه الأمة في فئات وليس ذهابه بالكلية، وتحديد موضعه، وهو دليل مصداقية النبوة.

قال في الفتح رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ابن التين: فيه الإخبار بأن نساء دوس يركبن الدواب من البلدان إلى الصنم المذكور، فهو المراد باضطراب ألياتهن. قلت: ويحتمل أن يكون المراد: أنهن يتزاحمن بحيث تضرب عجيزة بعضهن الأخرى عند

---

(١) البخاري (٧١١٦) مسلم (٢٩٠٦).

الطواف حول الصنم المذكـور، وفي معنى هذا الحديث ما أخرجـه الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: «لا تقوم السـاعة حتى تدافع مناكب نساء بني عامر على ذي الخلصة»، وابن عدي من رواية أبي معشر عن سعيد عن أبي هريرة – رفعه –: «لا تقوم الساعة حتى تعبد اللات والعزى »، قال ابن بطال: هذا الحديث وما أشـبهه ليس المراد به أن الدين ينقطع كله في جميـع أقطـار الأرض حتى لا يبقى منه شـيء؛ لأنه ثبت أن الإسـلام يبقـى إلى قيام السـاعة، إلا أنـه يضعف ويعود غريبـا كما بدأ، ثـم ذكر حديـث: «لا تزال طائفـة من أمتي يقاتلون على الحق»، الحديث، قال: فتبين في هذا الحديث تخصيـص الأخبار الأخـرى، وأن الطائفة التـي تبقى على الحق تكون ببيت المقدس إلى أن تقوم الساعة. قال: فبهذا تأتلف الأخبار.

وفِـي الفتـح ايضـا: زاد معمـر: «بتبالة » وتبالـة – بفتح المثنـاة وتخفيف الموحدة وبعد الألف لام ثم هاء تأنيث – قرية بين الطائف واليمن بينهما ستة أيام، وهي التي يضرب

بها المثل فيقال: أهون من تبالة على الحجاج، وذلك أنها أول شيء وليه، فلما قرب منها سأل من معه عنها فقال: هي وراء تلك الأكمة، فرجع فقال: لا خير في بلد يسترها أكمة. وكلام صاحب «المطالع» يقتضي أنهما موضعان، وأن المراد في الحديث غير تبالة الحجاج، وكلام ياقوت يقتضي أنها هي، ولذلك لم يذكرها في «المشترك»، وعند ابن حبان من هذا الوجه: قال معمر: إن عليه الآن بيتا مبنيا مغلقا ..!

❋❋❋

(٣٧) الحديثُ السابع والثلاثون

تبدلُ الأجناسِ خُلقيا

عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَـالَ: «لَعَـنَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَـبِّهِينَ مِـنَ الرِّجَـالِ بِالنِّسَـاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»[١].

فيه ذمُّ التشبه بين الجنسين، وأن لكل جنس صفته وخصائصه، واختراقها مؤذن بفساد الأخلاق والمسالك.

قال في الفتح رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الطبري: المعنى: لا يجوز للرجال التشبه بالنساء في اللباس والزينة التي تختص بالنساء ولا العكس. قلت: وكذا في الكلام والمشي، فأما هيئة اللباس فتختلف باختلاف عادة كل بلد، فرب قوم لا يفترق زي نسائهم من رجالهم في اللبس، لكن يمتاز النساء بالاحتجاب والاستتار، وأما ذم التشبه بالكلام والمشي

---

(١) البخاري (٥٨٨٥).

فمختص بمن تعمد ذلك، وأما من كان ذلك من أصل خلقته فإنمـا يؤمر بتكلف تركه والإدمان على ذلك بالتدريج، فإن لـم يفعل وتمادى دخله الذم، ولا سـيما إن بـدا منه ما يدل على الرضا به، وأخذ هذا واضح من لفظ المتشبهين».

❊❊❊

(٣٨) الحديثُ الثامن والثلاثون

تميّزُ الكذابين

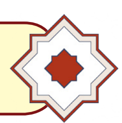
عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَـالَ: «لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَالْكُفْرُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ، وَلَا يَجْتَمِعُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ جَمِيعًا، وَلَا تَجْتَمِعُ الْخِيَانَةُ وَالْأَمَانَةُ جَمِيعًا»(١).

فيه تميزُ الكذابين وانكشـاف دجلهم للناس، لأنه ينتفي اجتماعه مع الصدق، كانتفاء اجتماع الإيمان والكفر، وفيه أن مـن اسـتمرأ الكذب وعـرف به يصعبُ صدقُـه يوما من الأيام، ويروى في المسند: (يطبعُ المؤمنُ على كل الخِلال، إلا الخيانة والكذب).

وقال عمر الفاروق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (لأن يضعَني الصدق- وقلَّما يضع- أحبُّ إليَّ من أن يرفعني الكذب، وقلَّما يفعل).

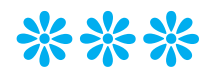
---

(١) المسند (٨٥٩٣).

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (أعظمُ الخطايا الكذب، ومن يعفَّ يعفُ الله عنه).

وعنه أيضًا أنه قال: (الكذبُ لا يصلحُ منه جدٌّ ولا هزل).



(٣٩) الحديثُ التاسع والثلاثون

خِذلانُ أهلِ الحق

عـن مُعاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَـمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَـنْ خَذَلَهُـمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّـى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»[١].

فيه دليلٌ على خذلان أهل الحق المؤمنين في آخر الزمان، واستمساكهم بدين ربهم وقيامهم به ،وأنهم لا يزالون ثابتين، ولَم يزل لهم مخذل وناقم من جماعتهم وبني جلدتهم.

وأما بيان وصفهم فقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما هذه الطائفة فقـال البخاري: هـم أهلُ العلم، وقال أحمـد بن حنبل: إن لـم يكونوا أهلَ الحديـث فلا أدري من هـم؟ قال القاضي عيـاض: إنما أراد أحمد أهل السـنة والجماعة، ومن يعتقد

(١) البخاري (٣٦٤١) مسلم (١٠٣٧).

مذهب أهل الحديث، قلت: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض . وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة؛ فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي ﷺ إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث.

❊❊❊

(٤٠) الحديثُ الأربعون

الغثائيةُ الفارغة وغلبةُ الدنيا

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِـكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَـى قَصْعَتِهَا». فَقَـالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْـنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَـلْ أَنْتُـمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيـرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَـاءٌ كَغُثَاءِ السَّـيْلِ، وَلَيَنْزِعَـنَّ اللهُ مِنْ صُـدُورِ عَدُوِّكُـمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١).

فيـه بيانُ غثائية هذه الأمة في بعض مراحلها، وانخداعها بالكثـرة، والتحذير من انهماكهم في الدنيا وتسـلط الأعداء عليهم، برغم قوتهـم وصحة مبادئهـم، وتاريخهم العريق،

(١) أبو داود (٤٢٩٧). وسنده صحيح.

وكثرتهم الكاثرة . ولكن الوهن المرضي يحول دون ذلك، والله المستعان.

❋❋❋

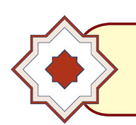
تم بحمد الله وتوفيقه (أربعونَ السنوات الخداعات).

رزقنا الله فقهها، والاعتبار بدروسها، إنه على كل شيء قدير...

والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلم على رحمة العالمين، وعلى آلِهِ وصحبهِ أجمعين.

❋❋❋





الفهرس

❊❊❊


التصميم الداخلي للكتاب
ثروت سلطان
Tharwat Sultan
للتواصل:
00201019530152
TharwatSultan@yahoo.com